University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثالث عشـــر - يناير 2017

# طاعون العصر .. التطرف الديني (أسبابه - نتائجه - علاجه)

**د. أبكر عبدالبنات آدم.**

( استاذ مشارك بقسم مقارنة الاديان - كلية الاداب - جامعة بحري - السودان )

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثالث عشـــر - يناير 2017

# طاعون العصر ... التطرف الديني (أسبابه - نتائجه - علاجه)

**مستخلص:**

تناولت الدراسة التطرف الديني في الأديان السماوية التي بدأت مع وجود الإنسان على هذه البسيطة فاستغلت الايدولوجيات والحكومات والأنظمة المختلفة لتحقيق هدف الولاء والهيمنة والسيطرة، أو خلق بيئة غير متكافئة على ضوء اختلاف المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد. ومع أن الأديان التوحيدية قد نبذت فطرة التطرف والغلو في الدين، إلا أننا اليوم نواجه هذه الظاهرة بعصبية فائقة الخطورة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو الدولي، الأمر الذي فرض واقعاً مريراً أضر بسمعة الإسلام والمسلمين. وقد خلصت الدراسة إلى ضرورة نشر ثقافة المرجعيات الدينية أو المؤسسات الاجتماعية التي يمكن أن تحد من خطورة هذه الظاهرة، وأن تسعى الحكومات إلى خلق بيئة صالحة للحوار والتعايش السلمي بين الأديان. استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي للكشف عن الآثار الاجتماعية للتطرف الديني، مع وضع الحلول المنطقية لمجابهة مخاطره الثقافية والفكرية والسياسية .

**الكلمات المفتاحية:** التطرف. الغلو. التعمق. ظاهرة. الآثار الاجتماعية.

## Abstract

The study deals with religious extremism in the heavenly religions, which begins with the human existence on this simplicity. It exploits ideologies, governments and different systems to achieve the goal of loyalty, domination and authority, or creating unequal environment in the light of the different religious beliefs and customs. While the monotheistic religions have rejected the encouragement of radicalism and extremism in religion, but today we are facing a higher risk of this phenomenon nervously at both individual, social and international level, which imposed a bitter reality that damaged the reputation of Islam and Muslims. The study concluded that we need to spread the religious culture or social institutions that can reduce the severity of this phenomenon, and that the governments should seek for creating valid environment for dialogue and peaceful co-existence between religions. The researcher used the descriptive and analytical method to find out the social influences of religious extremism, as well as finding out the logical solutions to confront its cultural, intellectual and political risks.

**Key words:** Extremism - Immoderation- Deepness- Phenomenon- Social impacts.

- **مقدمة:**

بدأ تاريخ العنف على الأرض مع ظهور الوجود البشري، فأصبح من الأحداث الأسطورية التي وردت في بعض نصوص الأديان القديمة، كبداية لمسيرة الصراع البشري مع ذاته كنزعة لا شعورية ثم ارتبط بجانب الخلود والتركيز نحو السلام الروحي، وعلى خلفية تلك المعاني ازدهرت ثقافة جريمة التطرف الديني على مرّ التاريخ، فأصابت الإنسانية تشوهات فكرية ومعرفية أثرت في مسيرتها الروحية والمادية، وبرز من ذلك الطغيان شعور الإنسان بما يُوجب العقوبة الدنيوية والأخروية التي تحدث نتيجة للمخالفات الشعورية واللاشعورية، ومن هنا تنامت ظاهرة الحقد والكراهية على الآخرين، ونزعة الأنا المستقاة من العدالة الإلهية، وبمرور الزمن ظهر ما يعرف بالمذاهب الفكرية والنزعة القومية للسلطة وتأويل التمييز بين مقاصد الشريعة في الأديان السماوية، وبين خلفيات التفضيل المبنية على أبعاد إلهية ومدارك نبوية.

إن الأديان السماية تحظر الاعتداء على النفس البشرية، دون نظر إلى دينها أو معتقدها أو عرقها ولا يخفى على أحد أنّ بعض مجتمعاتنا تعاني مِن انتشار موجات التطرّف. وقد تختلف موجات التطرّف في حدّتها وآثارها مِن مجتمع إلى آخر طبقاً لاختلاف العوامل الطبيعية والبشرية والبيئية، وقد تتّخذ مظاهرَ متعدّدة بين مختلف أطياف المجتمع المسلم أو المسيحي أو اليهودي. ولكن في كلّ الأحوال يمثل التطرّف الديني ظاهرة تؤثّر سلباً على السّلم والأمن المجتمعي والإقليمي، وعلى التعايش السلمي بين أهل الملل السماوية في العالم. وقد تعالج هذه الورقة العلمية بعض أسباب التطرف الديني والكشف عن نماذج من التطرف الديني المنتشر في انحاء العالم والحدّ مِن هذه الظاهرة، ومِن تداعياتها على المجتمعات التي تعاني ويلاتها على الرغم من أن بعض الباحثين يجمعون في الشأن الاجتماعي على صعوبة دراسة الظواهر الاجتماعية عمومًا، وبخاصّة تلك التي تتداخل مع ظواهر اجتماعية أخرى، ممّا يصعّب فصلها ومعرفة مسبّباتها بشكل مستقلّ عن غيرها. فقضية التطرّف الديني هي واحدة من تلك الظواهر الاجتماعية التي يصعب توصيفها وتحديد أسبابها بصورة موضوعية ليس فقط للأسباب الآنفة بل أيضاً لأنّه ترتبط بالدين وبالدور الذي يلعبه الدين بشكل متنامٍ في تشكل المجتمع، وبآثاره الواضحة مِن جهة وغير الملحوظة مِن جهة أخرى، سواء على المستوى الفردي والجماعي. فالمتطرفون موجودون في كل الأديان السماوية، فهم ليسوا محصورين في الإسلام فقط كما يدعي بعض المستشرقين، فالإسلام في شريعته مشددٌ على ضرورة الاستجابة العاجلة والعمل الجماعي للتصدي لجرائم الإرهاب، ومنع وقوعها ضد المدنيين الأبرياء باسم الدين أو العرق أو الجنس.

- **أهمية الدراسة:**

يرتبط التطرف الديني بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً، كما يرتبط بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فيتحول إلى إرهاب، وعندما يخرج عن المسار الديني يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنفية من السلوك، من اعتداءات على الحريات والممتلكات والأرواح، أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة معاً. إذاً هو نمط من أنماط استخدام القوة في الصراع السياسي تستهدف عملياتها كل القرارات السياسية التي لا تخدم أهدافها الاستراتيجية. وذلك بإرغام دولة أو جماعة سياسية معينة على اتخاذ قرار أو تعديله أو تحريره، مما يؤثر في حرية القرار السياسي لدى الخصوم. وتأخذ هذه الدراسة أهميتها من النتائج التي يمكن أن تتوصل إليها، فهي بإثارتها لهذا الموضوع تكشف النقاب عن واحدة من المشكلات الكبرى التي تؤرق الإنسانية كلها، وتفتح آفاق الاهتمام السياسي والاجتماعي لمعالجتها والتصدي لنتائجها الخطيرة، بمنع ظهور مشكلات أخرى تهدد الأمن والسلام العالميين.

- **أهداف الدراسة:**

تسعى الدراسة إلى معالجة موضوع التطرف الديني الإيديولوجي بشكل أكاديمي وعلمي، في المجالات المساعدة للتخلص منه. وخاصة الأبحاث التي يمكن أن تتقصى أبعاد هذه الظاهرة وتجلياتها في المجتمع الإسلامي والغربي على السواء. كذلك تهدف الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التطرف الديني وبعض المصطلحات كالعنف والتعصب وغيرها، وهل يمكن الإقرار بأن وجود الظاهرة أمر طبيعي؟ كذلك محاولة وضع الظاهرة في سياقها الموضوعي والمنطقي الصحيح الذي يساعد على فهمها بالطريقة العلمية دون العاطفية. وكونها ظاهرة طبيعية لا ينفي عنها صفة أنها ظاهرة مرضية لا صحية. فإذا كان القضاء عليها بصورة مطلقة صعب المنال، فإن الحد منها، وتقليص أخطارها وآثارها السلبية على المجتمعات يبقى أمراً مطلوباً.

- **مشكلة الدراسة:**

تكمن مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- إلى أي مدى يرتبط التطرف الديني بالعنف الديني؟
- ما علاقة التطرف الديني بالأسطورة عند الأديان التقليدية القديمة؟
- أليس التطرف الروحي في الأديان الإلهية يمثل تأويلاً للتطرف الديني؟
- هل يمكن تبرئة الأديان الإلهية من ظاهرة التطرف الديني؟
- ما علاقة التطرف الديني بالأصولية والرهبنة في مختلف الأديان السماوية؟
- كيف يمكن ربط فكرة التطرف الديني في الأديان السماوية بالممارسة السياسية؟

- **منهجية الدراسة:**

استخدم الباحث المنهج التاريخي والتحليلي للكشف عن الآثار الاجتماعية والفكرية التي يحدثها التطرف الديني في المجتمع.

- **مفهوم التطرّف**

**التطرّف لغةً**: مشتق من "الطرف" أي "الناحية" أو منتهى كل شئ"(ابن منظور1994م:702). وتطرّف "أتى الطرف"، أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط(الرازي1950م:245). ويرى بعض اللغويين أن لفظة "التطرف" تستدعي للخاطر كلمة "الغلوّ" التي تعني تجاوز الحد. وهو من "غلا" أي"زاد وارتفع وجاوز الحد "(الجرجاني1998م:22)، فالتطرف في اللغة هو الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، ويقصد به اليوم العدول عن طريق الوسطية والاعتدال في شؤون التدين والثقافة والعلاقات الاجتماعية والرؤية السياسية وغيرها.

**التطرّف اصطلاحاً**: هو مصطلح يُستخدم للدلالة على كل ما يناقض الإعتدال والتوسط، زيادة أو نقصاناً(عبداللطيف1987م:8). ونظراً لنسبية حد الاعتدال، وتباينه من مجتمع لآخر وفقاً لقيم وثقافة وعادات كل منها، فقد تعددت مفاهيم التطرف إلى حد جعل من الصعوبة بمكان تحديد أطرها. وهنالك من يرى أن للتطرف الديني عدة تعريفات منها:

* التطرف هو الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة للواقع المعيش.

* التطرف هو اتخاذ الفرد أو الجماعة، موقفاً متشدداً إزاء فكر أو أيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق نوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة.

إن مصطلح التطرف يضاد مصطلح "الوسطية" أي" الواقع بين طرفين"، فالقرآن الكريم كان ولايزال يحث دائماً على الاعتدال، فالله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهو يعلي من شأن اليُسر وينهى عن البخل والشح، لأنهما بمثابة تطرف في التعامل مع المال. كما دعت السنة النبوية الشريفة إلى الرفق لقوله ﷺ:" إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"(ابن حجر1314هـ:حديث رقم:97). فأصل التطرف تكمن في مسألتين أساسيتين: في المسائل الحسية، كالتطرف في ممارسة الشعائر العبادية والتعبدية، وفي المعنوية كالتطرف في الدين والفكر وفي القيم والسلوك. ومن لوازم التطرف أنه أقرب إلى الهلاك والدمار والانهيار، وأبعد عن الحماية والأمان، وهو تعبير يستعمل لوصف أفكار أو أعمال ينظر إليها من قبل المتلقي بأنها غير مبرّرة. ويستعمل هذا التعبير لوصف الأيديولوجيات الدينية البعيدة عن التوجه الديني المألوف لدى المجتمع وكذلك يستعمل للتعبير عن المناهج الدينية العنيفة التي تدعو إلى المحاولة في تغيير الأوضاع السياسية أو الاجتماعية للمجتمع المعين (الأصفهاني 1961م:124). وقد يعني التعبير أيضاً التعبير عن وسائل غير مقبولة من قبل جماعة معينة تدفع إلى التخريب والعنف، أو الترويج بوجود فلسفة متطرّفة لدى البعض تجعلهم معرضين للشبهة، وعليه يتم استعمال المصطلح كثيراً لأغراض لا تمت للحقيقة بصلة.

وقد يكون التطرف إيجاباً ويتمثل في القبول التام للفكر (الأيديولوجي، أو القضية موضوع الحوار) أو سلباً ويتمثل بالرفض التام للفكر الأيديولوجي، وهنا يقع حد الاعتدال والتوسط في منتصف المسافة بين القبول والرفض. وفي كلا الحالتين يعتبر اللجوء إلى العنف بشكل فردي أو جماعي من قبل الجهة المتطرفة بهدف فرض قيمها ومعاييرها، لإحداث تغيير في قيم ومعايير المجتمع الذي تنتمي إليه، وفرض الرأي بالقوة الفكرية أو بالقوة المسلحة. بينما يرى البعض الآخر أن تفسير ظاهرة التطرف الديني أمر نسبي يختلف من بيئة لأخرى ومن ثقافة لأخرى، فما تعده أنت من التطرف يعده غيرك من التوسط والاعتدال، وقد يعده آخر نوعاً من التساهل والتفريط، بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك فربما يمارس الشخص نفسه سلوكاً أو فكراً مقتنعاً به ثم يتغير موقفه، ويرى أن ما قام به لم يعد من التطرف ويتبرأ من فعله، وهذا ما نشاهده كثيراً في ظل غياب المرجعيات الدينية والسياسية والاجتماعية، وبهذا يتبين لنا أنه من الصعب جداً أن نحدد مدلول التطرف أونفسره بمفهوم معين، لأننا لا ننطلق من منطلقات ثابتة متفق عليها ونتحاكم إليها، بل ننطلق من معتقدات وعادات وتقاليد وبيئات وثقافات مختلفة (التل 2005م:14). فإذا نظرنا إلى الغربيين نجدهم يختلفون في تعيين مفهوم التطرف والإرهاب للتباين الكبير في مرجعيتهم الدينية والثقافة والعادات والتقاليد. وقد تتفق نظرة الأديان السماوية جملة على تحريم الأفعال الخطيرة التي اتفقت الشرائع على تحريمها كقتل الأبرياء والتعدي على ممتلكات الغير ونحوها. فالغالي في الدين متطرف متشدد، وقال ابن تيمية1391هـ: 44):" طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه أو نهايته، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفا". لكن المشهور استعماله في التشدد والتعمق وهو المقصود في خطاب المتكلمين فيكون مرادفاً للغلو ومفهومه في الشرع مجاوزة المسلم الحد الشرعي في كل شيء، وقال ابن تيمية (1414هـ:129):" إياكم والغلو في الدين"، فالغلو هو مجاوزة الحد أي بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق. فالنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال لقوله تعالى:{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً }(النساء:171)، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ

تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } (المائدة:77). ولكن المشهور استعماله في التشدد والتعمق وهو المقصود في خطاب المتكلمين فيكون مرادفاً للغلو ومفهومه في الشرع مجاوزة المسلم الحد الشرعي، وقال ابن حجر(1314هـ:531):" الغلو هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق، ويقال غلا في الشيء يغلو غلواً وغلا السعر يغلو غلاء إذ جاوز العادة..."، فالتشدد في تطبيق الدين والمبالغة في العبادة صفة عرفت بها بعض الفرق الإسلامية كالظاهرية والبهائية والإسماعلية وغيرها، وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ:" يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليست قراءتكم بشئ ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء"(البخاري1336هـ:حديث رقم:1341). ولأجل هذا وغيره يجب الرجوع إلى أصل التطرف وتعيين مدلوله في الشرع الإسلامي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، والذي جاء بتحريم ومنع الغلو والتطرف في الأقوال والأفعال والاعتقادات واستخدم الأساليب والدلالات في بيان ذلك تارة بالنهي وتارة بالتحذير، وتارة بالغلو لأن الغلو سبب للهلاك، لقوله ﷺ:" يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم "(النسائي1313هـ:حديث رقم:2863)، وقال ﷺ:" لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله"(السقّاف1996م:145)، وعن ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال:"هلك المتنطعون قالها ثلاثاً" (النووي1996م:حديث رقم:2670)، ويقصد بذلك الاعتدال في الأمور كلها. ويرى البعض أن النصارى أكثر الناس غلواً سواء في الاعتقادات أو في الأعمال. ولا يمكن مكافحة التطرف إلا بالحكمة والعودة للفضائل والقيم الخلقية التي مكانها النصوص الشرعية، والقانون الإلهي، وتوجيه الخطاب الإعلامي، ومن الظواهر السالبة اتجاه التطرف الديني الولاء الأعمى للغرب، من خلال حركة التغريب والاستلاب الفكري والثقافي التي ظهرت في العالم الإسلامي، وهي حركة تُجمِلُ سعيها في تقليد الغرب في مختلف أنشطته ابتداءً من الإلهام بأن الحضارة الغربية كانت ولازالت سبباً من أسباب التفوق والتقدم العلمي، وعلى أساس أنها سنة كونية وجدت صداها في أكثر الجامعات والمؤسسات التعليمية التي تنتمي للمؤسسات التنصيرية والتبشيرية في العالم الثالث. فهؤلاء الدعاة يرون ضرورة التعامل مع أوروبا في أنظمتها وأولوياتها وعاداتها الخاصة، دون أن يدركوا أن قوانين الحياة محكومة بظروف كل أمة وموروثاتها وتاريخها، ولكن سرعان ما تبين لهم أن الحضارة الغربية نشأت على مبدأ المنفعة المادية دون الروحية، ولا تعترف بمعاناة الأمم إلا بقدر مصالحها. ومع تلك التناقضات الثقافية انقسم المجتمع المسلم إلى تيارات متناقضة منها:

* تيار أسلم قيادته وولاءَهُ للغرب.

* تيار أغلق على نفسه أبواب الحياة والفكر، وعكف على الانكفاء على الذات، ورأى في الغرب شراً محضاً وفساداً مطلقاً.

* تيار ينظر إلى سائر الأنظمة العربية والإسلامية على أنها أنظمة ملحدة وكافرة، ويجب مقاومتها بالجهاد الذي فرضه الله على الأمة.

وينقسم التطرف إلى ثلاثة أنواع:

1. تطرف الأفراد. 2. تطرف الجماعات. 3. تطرف الدول.

وهنالك من قسمه بالنظر إلى عنصر الدين، على النحو التالي:

أ. التطرف العلماني: العلمانية في أصلها هي دعوة إلى فصل الدين عن الدولة ولكنها قد تتحول إلى محاربة الدين، ومحاصرة لجميع أشكال التدين، مما يجعل من بعض الدول نماذج للتطرف العلماني، حيث تعدّ التدين من الجرائم السياسية التي يجب محاربتها والقضاء عليها(الزيات2005م:12)، ومن نماذجه: التيارات الاستئصالية في بعض البلدان العربية والإسلامية، فهذه الدول ترفض رفضاً باتاً كل حضور للإسلام في مختلف مجالات الحياة، وتسعى إلى استخدام الدولة في محاصرة مظاهر التديّن.

ب. التطرف المسيحي: وهو نوع آخر من التطرف لا يعترف بالآخر، ولا يحق لبشر أن يختلف مع قانون الإيمان المسيحي الذي يتزعمه الكنيسة الكاثوليكية، ويعرف عند الأوروبيين باليمين المسيحي المتشدد، الذي يعلو صوته كثيراً في قضايا الهجرة(Tyerman,2006:23). وتشكل الإدارة الأمريكية اليوم "المحافظين الجدد" نموذجاً آخر للتطرف المسيحي الذي يرى اتباعه أنهم مكلفين فقط بمهمة ملكوت السموات.

ج. التطرف اليهودي: وأبرز أمثلته: الحركة الصهيونية العالمية التي أسست على العنصرية حيث تمارس الاغتيال السياسي وهدم البيوت والمذابح المنظمة لأجل بناء الدولة اليهودية.

د. التطرف الإسلامي: وهو الذي ينتمي أهله إلى أمة المسلمين الذين يظهرون اليوم وكأنهم رسل يتحدثون عن الإسلام والمسلمين دونما علم أو فقه، وتضم كل التيارات الفكرية المتشددة في العالم الإسلامي (كالأصولية والشيعة والخوارج، والدولة الإسلامية، داعش... وغيرها).

ومع أن الإنسان يبدأ حياته القيمية الأولى انطلاقاً من آليات التحليل والتركيب والتقييم، فإن هذه العناصر هي التي تعبر عن الذات العاقلة نحو الوجود الجمعي، وعليها يعتمد في عملية الاندماج في هذا الوجود الذي هو منه وإليه، وبها يكوّن الإنسان الموقف والمبدأ لمعرفة القيمة الحقيقية لوجوده يرفضها أو يقبلها كقيمة تكون مبدأه وسر شخصيته، وعندما تكون الذات الشخصية العاقلة نشطة توظف تلك العناصر(التحليل والتركيب والتقييم) في تنظيم علاقته بالآخرين حيث يولد التسامح والتفاهم والتعايش، ويستفاد من الذات العاقلة في تفسير الحقائق الكونية والمعارف المطلقة، وهنا يولد التطرف المعرفي والديني والسياسي والعلمي وغيرها.

على هذا المنوال يلامس التطرف الديني في كافة المجالات العقلية والوجدانية والحسية، وتظهر حدة التطرف الديني والانتقال بالمذهب الديني إلى طرف بعيد عن الوسطية(القرضاوي2001م:27). فالمتطرفون يرفضون كل رؤية متجددة من شأنها أن تحسن من وضع المجتمع، على اعتبار أن المعرفة الدينية هي اليقين والعلم المطلق، لذلك نجد أن المتأخرين في كل علوم الدنيا هم الشعوب المتدينة الذين يعتبرون أن المساس بجميع الشعائر العبادية والتعبدية يعتبر كفراً وخروجاً من الملة، وبهذا يتم استبعاد العلوم اليقينية التي تحمل الصواب والخطأ، وتسود المعرفة اليقينية التي تقوم على الجواب الصحيح، والتي تستمد قوتها من الاسباغ اليقينية. ونتيجة لتلك المظاهر ظهر أُناس يجهلون أبسط مصادر المعرفة بالعلوم الشرعية، لأن الأصل في ذلك هو التعصب الظلامي والعصبية للفكرة لا للدين، لأن الدين في حقيقته جاء ليرفض كل عصبية، لقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }(الأنعام:159)، وقال تعالى:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }(الحجرات:9). فالقرآن الكريم يأمر برفع الظلم عن المظلومين لا بالتعصب لفئة معينة لأن التعصب مرض نفسي يجب تجاوزه بالتقرب إلى الله تعالى. فليس بالضرورة أن يتجسد التطرف الديني على شكل اعتداءات جسمانية، ففي الغالب يأخذ شكل اعتداء كلامي ضد اصحاب الديانات والمذاهب الفكرية المختلف حولها، أو مع جهات لها تفسيرات مخالفه لأفكار المتعصب الذي يعاني في الغالب من أُحادية التفكير. ففي مثل هذه الاعتداءات الكلامية يحاول المتعصب أن يؤكد أنه الصحيح، أما المخالفين لدينه أو مذهبه أو أفكاره هم على الخطأ، وبالتالي يستخدم عبارات دينية أو نصوص من الكتاب المقدس لتقوية الحجة، أو بإمكانه استخدام الأحداث التاريخية لتقوية مبرراته، فمثلاً في الحروب الصليبيين يردد البعض عبارة:" إن المسلمين اضطهدوا المسيحيين بدفعهم الجزية" وذلك حرصاً منه على خلق الكراهية بين المسلمين والمسيحيين باذكاء مشاعر السخرية على أساس حاجته ومصلحته، فيتجه نحو الاعتداء المبطن على الآخرين، فيعتبرهم بلا قيمة في هذه الحياة، ويجب جهادهم أو محاربتهم (Tyerman 2006:12). فالتطرف هو منظومة من الأقوال والأفعال المحدثة بفعل اعتقادات

وقناعات وقيم مستخدمة تمتزج بالشخصية فكراً وسلوكاً، خاصة عندما يتعاون مع الوسطاء والوكلاء الذين يتولون أمر التنشئة والتربية، والإيحاء الديني، فيصبح الفرد المستهدف مدمناً في عقار التطرف، فلا يستطيع التخلص منه ببساطة. لذلك ينشأ التطرف الديني نتيجة تظافر عدة عوامل ذاتية تتعلق بشخصية المتطرف، وأخرى موضوعية تتعلق ببيئة المتطرف. فالجهل بحقيقة الدين وبمقاصده في بعدها الانساني يولد عقليات لا يمكن حلها، كما يفرز التفكير غير الطبيعي للانقياد الأعمى والتسليم لغيرها دون أدنى مقاومة. فيتحول المتطرف من عالم المجون إلى ساحة التعصب بشكل مفاجئ، وقد يتغير بفعل عوامل التنشئة من متطرف أشد إلى بوق للفساد والاستبداد، بل قد يخون أعز الأصحاب ورفاق الدرب في أي لحظة تلوح له أنها لحظة النجاة مما يجعله يفقد توازنه الاجتماعي، بل يمنعه من ربط العلاقات الإنسانية لأنه يمارس ظاهرة التطرف، وهو جاهل بخطورتها التي تشكل لديه رؤية أحادية للعالم الخارجي، والتي تعوق فهمه لقوانين الحياة ولطبيعتها النسبية القائمة على أن الحكم فيه ذاتي وموضوعي، فهؤلاء يعتقدون أنهم مسؤولون عن ضمائر الناس، وأن بيدهم مفاتيح الجنة وسلاسل النار وهذا نوع من أنواع الاستبداد، ولا يدرك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حراً قائده العقل(ابن حزم1985م:20). فالمتشددون المتدينون يعتبرون أن من الواجب الديني أن يكون هنالك تشدد، فكلما ازداد التطرف كلما ازداد الالتحاق بالتعصب الديني الذي من خلالها يتم استبعاد مفهوم الخيرية للعباد، لقوله تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }(آل عمران:110)، لذلك كان التوجيه الرباني صريحاً فيما يخص احترام معتقدات الناس وعدم التعرض لها بالسب والتنقيص لقوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(الأنعام:108). لذلك فإن تنفيذ أمر الدعوة توجهها تحديات جسيمة تحتاج إلى تجاوز الألفاظ الوهمية، وإلى تفعيل ربط المسؤولية بالمحاسبة في الحقل الديني الذي يعاني من حروب بالوكالة بين مختلف التيارات الفكرية، نظراً لغياب الإرادة الحقيقة، ولعدم تفعيل الفصل الوظيفي بين الرسالة الدعوية القائمة على ثوابت الأمة ووحدتها العقدية والمذهبية وبين التدافع السياسي المتسم بالحرب والتواطؤ والتحالفات وغيرها. وتحقيقاً للسلم المدني وتقوية روابط الأخوة الانسانية في تناغم غير مبتدع بين وسطية الدين وديمقراطية السياسة يجب أن تكون صورة الإنسان أمام نفسه لها قيمة كونية. فلا يصح أن تعتمد المقاومة على المكافحة المحلية فقط، بل تحتاج إلى عولمة المقاومة والتعاون للاستئصال عن طريق تضافر الجهود لرصد كل مظاهر وأشكال ودرجات التعصب والتطرف الدينى بين الأفراد والجماعات، ومكافحتها دولياً، لأن العقل والمنطق يقولان إن كل شئ قابل للتغيير، إلا الحقائق الإلهية. لذلك فإن تصنيف شخص أو مجموعة متطرّفة في أغلب الأحيان غاياتها تحقيق هدف سياسي، عن طريق تمرير قوانين معينة، أو شن الحروب، على اعتبار أنهم مسؤولون عنهم(التل1989م:16). وقال جون فيزجيرالد كندي:" الأماكن الأسخن في الجحيم محجوزة لأولئك الذين يظهر حيادهم أثناء الأزمات الأخلاقية"(ياسين1993م:53)، ويقول باري غولدوير:" أن التطرّف في الدفاع عن الحريّة ليس بالرذيلة، والاعتدال في مسعى العدالة ليس بالفضيلة "(علال، بدون تاريخ:12).

- **سيكولوجية التطرف الديني:**

إن التّطرف ظاهرة عالمية عابرة للدول تحت عناوين التعصب الديني والإرهاب، وبمضامين أخرى متنوعة كتغيير النظم السياسية وإسقاط الحكومات، وهي معضلة أرّقت الكثير من الحكومات في دّول العالم الثالث فضلاً عن الغرب الأوروبي عندما أصبحت تُمثل تهديداً حقيقياً للاستقرار الداخلي والأمن الوطني، وبسببها تكبّدت كل دول العالم خسائر كبيرة ليس في الأرواح فحسب، بل أيضاً في حرمانها من استكمال مسيرة البناء والتشييد والاستثمار في حقول المعرفة المختلفة، فعندما يفتقر بعض الدول التنظيم

الإيجابي وتوحيد المواقف لمواجهة الظواهر السالبة وما يحيق باستقرار مؤسّساتها وأمن مواطنيها وسلامتها، حينئذ ينعدم الإصلاح والتغيير، ويكثر الإنحراف. لذلك يرى بعض العلماء أن المرجعية الدينية في كل الأديان السماوية تمثّل منبراً رسمياً لإرساء قواعد التوحيد الداعية إلى الوسطية والاعتدال، وبالتالي يقطع الطريق أمام العابثين بمصائر الأمة، لقوله تعالى:{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ }(النور:15)، فوجود المرجعية الدينية يُساعد على توحيد مواقف العلماء أو تقريب وجهات نظرهم، وتقليل الإختلاف بينهم إزاء مظاهر التطرّف الديني الذي ترزح الأمّة تحت رحمته، ويحيد بها عن جادّة الصواب. فاجتماع العلماء ضمن هيئة رسمية يرسم الطريق الصحيح نحو حلّ إشكالية توحيد الفتوى، خاصة فيما يتعلّق بالنوازل الجسيمة التي تحلّ بالأمة. عليه، فإن وجود المرجعيات الدينية في شقها العلمي تُسهم في وأد التطرف الديني في مهده والتقليل من تأثيراته السلبية، وكذلك يُساعد على تصحيح المفاهيم والأفكار والإيديولوجيات التي تقف من وراء التطرّف، وإزالة ما يُثيره من شبهات على مستوى الفكر والعقيدة والمنهج والسلوك(دراز1993م:123). لذلك يرى بعض العلماء أنه من الخطأ الربط بين مظاهر التطرّف والأصولية في أيّ دين سماوي؛ لأن استباحة الدماء واستحلال الأعراض والأموال باسم الدين كشريعة أو باسم التديّن كممارسة للشريعة ليس من الدين في شيء، فالمشكلة في أساسها تكمن في سوء فهم تعاليم الدين والتطرف في تطبيقها والتشدّد في ممارستها، فالأديان السماوية جميعها تبرأ من ذلك وتنبذه ولا تدعوا إليه. لذلك فإذا نظرنا إلى التعاليم الدينية نجد أن جميع الأنبياء والرسل كانوا يسعون لإرساء قيم الدين كبشارة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

- **موقف اليهودية والمسيحية من التطرف الديني:**

ذكرت بعض الروايات الكنسية أن طائفة الفريسيين والصدوقيين من أكثر الطوائف تطرفاً حيث كان يسوع المسيح في خلاف دائم معهم، لأنهم يشكلون الطبقة الحاكمة من شعب بني إسرائيل، بل إنهم يتشابهون في أفكارهم ومعتقداتهم على الرغم من بعض الخلافات الطفيفة بينهما. فالصدوقيون هم الأرستقراطيون الذين عاشوا في الأيام الأولى من حياة المسيح عليه السلام. بل كانوا في الغالب من الأغنياء الذين يشغلون المناصب السيادية كالكاهن الأعظم، ورؤساء الكهنة، وكانوا يشغلون أغلبية المقاعد ال 70 للمجلس الحاكم والذي يدعى(السنهدريم)(الخشن، بدون تاريخ: 24). ورغم أن الصدوقيين كانوا يشغلون أغلب مقاعد(السنهدريم)، إلا أن الروايات الكنسية تشير إلى أنهم في أغلب الأحيان يطلبون موافقة الفريسيين بسبب حب الجماهير لهم. أما من الناحية الدينية، كان الصدوقيين أكثر محافظة في العقيدة من الفريسيين الذين كانوا كثيراً ما يعطون التقاليد الشفهية التي تتحدث عن سلطة كلمة الله المكتوبة بينما الصدوقيين كانوا يعتبرون الكلمة المكتوبة فقط هي كلمة الله. ولقد حفظ الصدوقيين سلطان كلمة الله المكتوبة التي وردت في أسفار موسى عليه السلام بدءً من التكوين حتى التثنية (الإدريسي 1993م:22). ومن ظواهر التعصب في الأناجيل أنه استخدم مؤلف العهد الجديد التعميد مع طوائف اليهود ليقسم المجتمع اليهودي إلى قسمين: القسم الأول: قام يوحنا بتعميدهم وهم يهود أورشليم الذين سكنوا الأردن فوضعهم في موضع المقدسين، قائلاً:" وجاء يوحنا إلى برية اليهود وهو يكرز أي يأكل الجراد المحمص بعد غليه بالماء ونشره تحت أشعة الشمس ..." وقال لليهود:" ... توبوا أي حطوا خطاياكم لأنه اقترب ملكوت السماوات"(يوحنا 23/12)، والقسم الثاني: بشّرهم بقدوم يسوع المسيح، وربط بين التبشير وظهور أشيعاء كنبي في البرية. فالاستقطاب السياسي المسيحي للطائفة اليهودية يشكل نوعاً من التطرف الديني لأنه عندما جاءوا إلى أورشليم جمع زعماء اليهود واتباعهم من حول مناطق الأردن ليتعمدوا في الأردن للتخلص من خطاياهم... وهذا يعني إن الطائفة اليهودية آمنت بيسوع المسيح قبيل مجيئه. أيضاً ذكرت بعض الروايات الكنسية أنه في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً:" توبوا

لأنه قد اقترب ملكوت السموات..."(أشعيا 23/12). فعندما نقرأ بقية الإصحاح نرى كيف تمكن المبشر يوحنا من تغيير المعتقد اليهودي إلى المعتقد اليسوعي. فالتعميد هو معتقد وثني منسوب للرب حسب الروايات المسيحية أقرته الكنيسة للتكفير عن الخطايا سنوياً في شكل رموز مقدسة مثل الماء أو الزيت أو بعض الأطعمة... وقد شرُّع التعميد لإبعاد سياسية ودينية لمزاولة المعصية في ظل الدين السياسي والاستمرار عليها دون قيد أو شرط. وقد لجا إليه أصحاب النفوس الضعيفة لتلبية رغباتهم التي تجمع بين الدين والدنيا على اعتقاد أن هنالك قربى إلى الرب الذي يحمل الخطيئة عنهم أو يزيلها عند ممارسة العبادات المقدسة، ويرى بعض المؤرخين في الكنيسة الكاثوليكية أن أصل التعميد مقتبس من واقعة الشيطان عندما استزل آدم وحواء فخرجا من الجنة، فاتخذوا من ذلك سبيلاً للتقرب إلى الله بأكل بعض أوراق النباتات لإزالة الخطيئة عنهما، فينظرون أن عصيانهما لربهما أخذا يطفقان من ورق الجنة أي يضعانه على جسديهما على اعتقاد إن هذه الأوراق مقدسة لعلها تحط عنهما خطيئتهما، ولكن الله سبحانه وتعالى رفض التعميد كأسلوب من أساليب التوبة، وجعل التوبة هي الإقلاع عن المعاصي، لأنه تعالى لا يقبل توبة عن الذين يعملون السيئات، لقوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }(النساء:18). وقد استخدم يوحنا التعميد لأهداف قومية وتطرفية أجبرت اليهود على مزاولته تحت الاضطهاد الديني الطائفي، إشارة منه إلى إن هناك أماكن مقدسة يجب التوجه إليها دينياً وقومياً، ولا يمكن التخلي عنها لأنها منبع التقديس. ويرى بعض مؤرخي الأديان أن تاريخ الصراع الديني بين اليهودية المسيحية قد بدأ منذ القرن الثالث الميلادي، عندما رأى مؤلف العهد الجديد (يوحنا) أن هنالك هيمنة دينية يهودية توراتية في الكتاب المقدس على الحضارات القديمة، ومدن فلسطين والأردن وغيرها. والشاهد على ذلك ذكر يوحنا المعمدان أحد الشخصيات السلفية المسيحية أن طوائف من اليهود الذين كانوا يقيمون في أورشليم والمناطق المحيطة بالأردن لم تقم لهم إية دعوة دينية خاصة بهم حسب ما جاء في الإنجيل، كما لم يذكر أية دعوة عن زكريا أو يحيى عليهما السلام في شعب اليهود(الطويل 1945م:111). وعلى الرغم من ذلك اكتشف بعض الباحثين الهولنديين أن (مارتين كامبوس) الهولندي الأصل الذي كان يتنقل بين ألمانيا والدول الأوروبية، كان أكثر المتشددين للدعوة إلى الديانة المسيحية، وإلى بذل كل القوة من أجل الحفاظ عليها، وهو رجل الدين الذي يحذر المسيحيين من التهاون في عقيدتهم أو تركها حتى لا تغزوها العقائد الأخرى، وهو من أشهر المبشرين الذين عملوا في ميادين العمل التنصيري والتبشيري في كثير من بقاع العالم، فلا يمكن إنكار وجود متطرفين من الديانتين فالباحث في أصول الدين المسيحي والإسلامي يجد تشابهاً كبيراً في الدعوة إلى التسامح والعفو والمحبة بين الناس، ونشر العطف والرحمة، وهى كلها مبادئ إنسانية لا يمكن تجاهلها في كلتا العقيدتين (الحاج 1992م:11). ولكنه من المؤسف أن هناك كثيراً ممن يخطئون في فهم لفظة(تأصيل المعرفة) ويفسرونها على أنها التطرف أو التشدد، كما أن الأصولية في الواقع هي إرجاع العقيدة إلى أصلها وأصل العقيدة الإسلامية والمسيحية هي الدعوة إلى وحدانية الله، فالذي يحدث عن تطرف بعض المسيحيين أو المسلمين على حد سواء، يرجع تلك المخالفة إلى عدة أسباب منها:

* عدم القراءة المتعمقة لأصول وجوهر العقيدة، بل كثيراً ما تفسر العقيدة وفق المصالح الفردية أو الجماعية.

* غياب دور رجال الدين في التوعية، والاكتفاء بتلقين النصوص الدينية دون التعمق.

* النظرة الضيقة للتنشئة الاجتماعية، وغياب الطموحات المستقبلية، وهو ما يدفع بالأشخاص إلى التمسك بالعقائد المتطرفة كملاذ لإنقاذهم، لما يعانونه من فقدان الطموحات أو الرؤى الإيجابية للمستقبل.

* الاستغلال السئ لمفهوم الشورى والديمقراطية والحرية، لتنفيذ مآرب التطرف والعصبية والإرهاب عبر استغلال الشباب الذي يعاني ضعفاً في الثقافة الدينية.

هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى خلق ثقافة التطرف الديني في الأوساط المسيحية فهنالك من يحاول استمالة الشباب المسيحي إلى محاربة العقائد الأخرى أو محاولة اختراقها، أو يهون من قدرها، وما نراه اليوم من كثرة الحوادث التي تقع داخل المجتمعات المسيحية خير دليل على تناغم الظاهرة حتى في داخل الكنائس، فعلى القائمين على أمر هذه الكنائس أن يسعوا لاحتواء المواقف، وحلها بالتفاهم حرصاً على سمعة الديانة المسيحية، وبموجب تلك الإفتراضات نجد أن المتطرفين في الديانة اليهودية أكثر بكثير من أصحاب الملل الأخرى فهم يتنامون في السنوات الأخيرة بقوة ضاربة مقارنة مع أعداد المتطرفين في الديانات السماوية الأخرى. فكثيراً ما يستغل اليهود والمسيحيون المصطلحات الدينية لتبرير الأعمال الظالمة من باب إضفاء روح المحبة والأخوة، والرغبة الصادقة في العمل من أجل رفع مستوى الإنسجام والتفاهم في المجتمعات الإنسانية ولكن بصورة مبطنة تتضّمن تطرفاً دينياً قاهراً.

ولقد دأب الغرب على إطلاق تسمية (الأصولية) في وصف كل اتجاه متزمت لا يقبل أي حوار، ويكافح متبعوه في سبيل رد الناس إلى نمط من الفكر يخالف متطلبات العصرنة، هذا الوصف يبدو دقيقاً حين يطلق على الأصولية النصرانية، والأصولية الهندوسية، والأصولية الشيوعية، والأصولية التوراتية (التل، بدون تاريخ: 29). ولكن هذا الوصف يبدو غير دقيق حين نطلقه على الأصولية الإسلامية، لأن الربط بين هذه المفاهيم وبين أصول التشريع الإسلامي يسقط خاصية من خصائص هذه الشريعة السمحة؛ ألا وهي المرونة والتطور في القيم الإلهية الثابتة التي أكدت بشكل واقعي أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان. ففي حالة التطرف الديني يكون الفرد متديناً عادياً يأخذ نفسه بتعاليم الدين ومبادئه، ويدعو الناس إلى الأخذ بذلك، ولا يملك المجتمع إزاء تلك الآراء إلا التعبير عن الرضا والتشجيع، ثم ينحو غالباً نحو التشدد مع نفسه أولاً ومع الناس ثانياً، ويتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتبعه في مسيرته أو دعوته، وقد يتجاوز ذلك إلى اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته، ثم يبدأ بالعزلة والمقاطعة حتى يصل إلى إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع بالردة والكفر، والعودة إلى الجاهلية، فيتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف عدواني، يرى فيه المتطرف أنه من الواجب الذي يمليه عليه الدين هدم المجتمع ومؤسساته للتقرب إلى الله والجهاد في سبيله، لأن هذا المجتمع في نظره مجتمع يجب إزالته، لأنه لا يحكم بما أنزله الله سبحانه وتعالى، وهنا يجب أن يتدخل المجتمع لوضع حد لهذا التطرف ومصادره باعتباره نشاطاً يصل بصاحبه إلى الاصطدام بالعديد من القواعد الاجتماعية والقانونية. ومن لوازم الحماية والدفاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والابتعاد عن التفسيرات الخاطئة، والدعوة إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، وتهديد أمن الأفراد وحرياتهم.

فالملاحظ أن التطرف بمستوياته المختلفة تؤججه الميول والإنحراف، وتنظمه قناعات دينية متشددة، فالغربيون قد اهتموا كثيراً بمصطلح الإسلاموفوبيا لمحاربة الثقافة الإسلامية بعد أن ضمنوا لأنفسهم الهيمنة السياسية والاقتصادية. ولا خلاف بين علماء الاجتماع من أن الكيان الصهيوني قد نجح في تفعيل عناصر التطرف والاستيلاء على الدول العربية، لإيجاد بيئة مناسبة لتنامي الظاهرة في كل أصقاع العالم، لتحقيق النبوءات التي جاءت بها المصادر التوراتية. ولا شك أن أهم حرب أثرت في الوعي الجمعي لليهود العلمانيين والمتدينين كانت حرب 1967م، عندما تمكّن الجيش الإسرائيلي من الانتصار على الجيوش العربية واحتلال الضفة الغربية والقدس وهضبة الجولان وقطاع غزة وصحراء سيناء، فقد رأى اليهود ان تلك الحرب التي انتصر فيها كانت "معجزة إلهية"، كما ذكر بعض كبار حاخامات اليهود أن تلك الحرب بداية لتحقيق "الخلاص" في الأرض ومقدمة لنزول "المسيح المخلص". وقد عبر عن ذلك الحاخام (موشيه ليفنجر) مؤسس فكرة الاستيطان اليهودي في الخليل، قائلاً:" أن كل ما حدث من فعل العناية الإلهية التي شاءت تحرير أجزاء كبيرة من أراضينا" (الإدريسي،بدون تاريخ:5). وبُعيْد الحرب، أصدر الحاخام (مناحيم شير)، وهو من كبار مرجعيات المتدينين القوميين في المجتمع اليهودي، كتابه

بعنوان:" خالص لطرق الخلاص ودلائله"، جاء فيه:" أن حرب عام 67 أعظم حدث في تاريخ الشعب اليهودي، منذ حرب اليهود بقيادة ( متتياهو الحوشمانئي) ضد اليونانيين القدماء فهذه الحرب انطوت على معجزات كبيرة، لا تشبه المعجزات التي حدثت خلال الحروب الأخيرة وهذه الحرب تبشر بقرب مجيء المسيح" (ياسين1990م:12). وقد ساد هذه الانتصار شعور المجتمع الإسرائيلي بأجمعه، ولم يعد الأمر مقتصراً على المتدينين القوميين لأنها كانت من أهم محفزات انطلاقة مشروع الاستيطان اليهودي في العالم، وبالفعل شرع مجموعة من الشباب المتحمسين من القوميين في تشجيع المرجعيات الدينية في تنظيم المظاهرات، التي تطالب الحكومة الإسرائيلية بإطلاق أيدي اليهود في الأراضي المحتلة بفضل حالة الثقة بالنفس التي غذّتها نتائج الحرب، نظم المتدينون القوميون حملات للتوقيع على عرائض، تطالب ببدء الاستيطان في الأراضي المحتلة، وانضمت للتوقيع شخصيات علمانية، في مقدمتها الشاعر (موشيه شامير). كما حرص الحاخام (تسفي كوك)، نجل الحاخام (أفراهام كوك) على تولى قيادة المتدينين القوميين بعد وفاة والده، والتحريض على الاستيطان في الأراضي المحتلة، حتى لو تطلب الأمر تحدّي الحكومة. ومن أهم إسهامات (كوك) رفعه شعار "لن تقيموا لن تسكنوا"، أي إنه، في حال لم يبادر المتدينون القوميون إلى إقامة المستوطنات في أرجاء الأراضي العربية المحتلة، حتى يتمكنوا من بسط سيطرتهم على "أرض الأجداد وإقامة مملكة إسرائيل"، كما جاء في المصادر التوراتية الدينية (Karen2001:22). إن نتيجة حرب عام 1967م أنهم لم يجدوا وطناً فتحول المعركة إلى التطرف الديني، فقد عزّزت دافعية الحرب للمواصلة الانخراط في الجهد الحربي للقضاء على المسلمين. كما عززت فكرة الاستيلاء بعد ممارسة الحرب بصورة مستمرة كعلامة ثقافية قومية مميزة، كما يقول عالم الاجتماع الصهيوني (سامي سموحا):" من خلال الحرب توطدت أركان "ثقافية جديدة" في إسرائيل، تقوم على اتساع دائرة ممارسة العلمانيين للطقوس الدينية، والتوجه إلى الكنائس، والتعلق بالتراث الديني اليهودي التي تهدف إلى بلورة الهوية الثقافية لليهود في أرض فلسطين في شقيها الشخصي والجماعي"(Jonathan2005:11). وقد برزت بعد الحرب مباشرة معاهد وكليات تهدف، بشكل أساسي إلى إطلاع المجتمع اليهودي العلماني على أهمية الدراسات الدينية، وتعليمها في جوانبه "الصوفية". وبقراءة أخرى فشلت الحكومات العربية في التعاطي مع هذه الفاجعة والتي من خلالها ساهموا في ضياع الأراضي العربية، بل إنهم أسهموا في تغذية غرور التطرف الصهيوني في شقيه الديني والقومي، ومما يصيب المرء بالإحباط والدهشة أن نخباً عربية لا تزال تصر على عدم أخذ نتيجة هذه الحرب في الاعتبار عند التقييم، حيث يصرون على تمجيدهم. فالاختلاف في التعاطي في كل ما يتعلق بثنائية الهزيمة والانتصار، يرجع بشكل أساسي للاختلاف بين الدول العربية والإسلامية في التعاطي مع المصالح الوطنية والقومية، مما خلق بوناً شاسعاً في محددات التقدير الذاتي بين العرب واليهود.

- **موقف الإسلام من ظاهرة التطرف الديني:**

بدأ النبي محمد ﷺ دعوته في مكة المكرمة، ثم بالمدينة المنورة، فآخى بين الانصار والمهاجرين، وسعى إلى بناء علاقات دولية بين دولته وبقية الدول المجاورة بفضل الدبلوماسية الإسلامية التي أكدت على الملأ أن رسالة الدعوة إلى الإسلام هي دعوة عالمية. وعلى الرغم من كثرة المنافقين وتعدد جرائمهم ومخازيهم، لم يؤثر عنه ﷺ أنه أراق دم أحد منهم ومازال يستأنس بهم ويتعاهدهم بالحلم والتعليم والتأديب حتى سلمت له المدينة المنورة، فجاء قوله تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(آل عمران:159). وبعد أن استقر به المقام أراد ﷺ أن يبني علاقات التفاهم والتعاون والانفتاح والتعايش مع ملوك وأمراء العالم فكانت رسائله للنجاشي في الحبشة والمقوقس وكسرى في مصر الروم، ايذاناً ببناء علاقات دولية تقوم على التعايش السلمي بين المتعاهدين، لقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(الأنفال:72). ويوم موت النجاشي صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب وداً وتراحماً مع نصارى نجران ومع مقوقس مصر على قبطيته. لذلك فإن عقدة احتواء الناس بالقوة وقضم أفكارهم وآرائهم بالجبر لم تكن سمة من سمات الإسلام في شئ، ولم يستخدمه النبي ﷺ في مناهجه التربوية والتعليمية، وقد عاش ومات وهو مكلل بشرفه لقوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }(الأنبياء:107). فإذا نظرنا جميعاً رعاة ورعية إلى تربية القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة ومنهاجهما السماوي لإعداد الدعاة، تتكشف لنا عما فيهما من محبة وخير وتسامح ونور، وإخاءٍ ورحمةٍ، فالعالم اليوم أكثر حاجة في تقبل رسالة الحق على الرغم من سقوط الأيديولوجيات الإلحادية في العالم الإسلامي، لأن الإنسان اليوم لم يشعر بالحرية والأمن والطأنينة، بل أخذ يبحث عن ذاته في ركام العقائد الفاسدة التي تدعو إلى التطرف والنزوع إلى الفوضى الخلاقة، كما أيقن أن رموز الإلحاد السالفة لازالت متمترسة عند بعض المجموعات المتطرفة، الذين لا يدركون أن الله تعالى له المقدرة أن يزحق الباطل مادام هنالك أمة يذكرون الله قياماً وقعوداً، لقوله تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(فصلت:53)، وقال سبحانه وتعالى:{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (التوبة:105).

وعلى الرغم من أن الغربيين قد ربطوا التطرف بالإسلام، إلا أنهم لم يدركوا أن الإسلام قد حذر أكثر من غيره من الأديان السماوية من أخطار هذه الظاهرة وانعكاساتها السلبية على المجتمع، فالقراءة الواعية للنصوص الشرعية، توضح مدى إدراك الإسلام لخطورة ظاهرة التطرف الديني بل إنه أنكر على أتباع بعض الديانات مظاهر التطرف والتشدد في السلوك والعبادة لقوله رسوالله ﷺ:" إياكم والتعمق في الدين"، فالقول بالنهي دليل على خطورة الظاهرة فالمراد بالتعمق أي في فهم الدين أو التشدد في تطبيقه قال ابن منظور في لسانه(1994م:145):" المتعمق المبالغ في الأمر أو الذي يطلب أقصى غايته"، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل(1986م:129):" إن المتتبع لمعاني كلمة "التعمق" في الأحاديث والنصوص الإسلامية لا يخالجه أدنى شك أن المراد به ليس التعمق في فهم الدين وبذل الجهد لأجل اكتشاف أبعاده ومقاصده، كيف لا وقد حث القرآن عليه ورغب فيه من خلال مدحه للراسخين في العلم، ودعوته للتفقه في الدين والتدبر في ملكوت السموات والأرض، فالمقصود بالتعمق المنهي عنه المبالغة والتشدد في الأخذ بتعاليم الإسلام وحدوده وأحكامه وسننه، وبما يخرج المرء عن جادة الاعتدال ويوقعه في الإفراط والتفريط". فالتعمق والتشدد في أحكام الإسلام يقود إلى التطرف الديني الذي يعتبر من أخطر الظواهر السالبة اليوم لأنه يرتبط عادة بالانغلاق والتعصب للرأي ورفض الآخر، فالمتطرف فرداً كان أم جماعة ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية، فلا يؤمن بتعدد الآراء والأفكار ووجهات النظر، بل يرفض الحوار والتعايش مع الآخرين، ولا يبدي استعداداً لتغيير قناعاته، وقد يصل به الأمر إلى تخوين الآخرين، وتكفيرهم دينياً أو سياسياً، وربما إباحة دمهم. ويزداد خطره حين ينتقل العملية من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري، إلى طور الممارسة العميلة، والذي من خلاله يعبر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل وتفجير وتصفية جسدية... وغيرها، أو يستخدم وسائل وأساليب تدعو إلى العنف الروحي والمادي معاً(التل2002م:12).. فإذا نظرنا لحال الأمة الإسلامية اليوم نجد أن التطرف الديني قد سجل رقماً قياسياً في كل الأصعدة، وإن المتطرفين اليساريين قد سادوا المنطقة بأسرها فأبتليت الأمة بذلك الداء في الممارسات اليومية وفي السلطة فعرفوا بالقوميين، وهنا تتعرض الجماعات الدينية للقمع ومصادرة الحريات والاعتقال، مما دفع البعض إلى ابتكار ثقافة التصفية والإعدام بحجة الجهاد في سبيل الله، وخلو البلاد العربية والإسلامية من براثن الهيمنة الغربية. فالمسألة إذن ليست حكراً على فقدان النزعة الدينية بقدرما يستغل الدين في ممارسة السياسة، فالجماعات ذات التوجه الإسلامي أكثر إثارة في مفهوم التطرف(الإسلاموفوبيا) حسب زعم

الغرب حيث ترفض الاعتراف بالآخر والمحاورة مع من يخالفها في الرأي، فتتجه الحكومات إلى تصنيفهم على أنهم خارجون عن الصف الوطني، وتمارس بحقهم سياسة القمع والاستئصال، وفي هذا يؤكد الجابري(بدون تاريخ:21):" في جميع الأيديولوجيات هناك دوماً موقع ما للتطرف والغلوّ " ومضيفاً:" إنه لوكان الزمان زمان الماركسية لكان كثير من الشباب الذين يستقطبهم اليوم التطرف الديني أو الإثني يعملون في صفوف التطرف الماركسي". لكن للأسف بات التطرف الديني يهدد المجتمعات الإنسانية في كل مكان، ويمارس الإرهاب بشكل شبه يومي من خلال ممارسة بعض الحركات الدينية المتطرفة، التى أخذت فى الانتشار في كثير من أصقاع العالم، فأصبحت خطراً يهدد الأنظمة الحاكمة والاستقرار الدولي. وقد اتبعت هذه التنظيمات منهج السرية المطلقة فى حركتها وأصبح العنف هو العنصر الأساسى لتحقيق فكرها وتأمين وجودها، الأمر الذي أصبح من الصعوبة بمكان تتبع حركتها ومواجهتها والحد من مخططاتها الارهابية. فالمتتبع للتيارات الفكرية المعاصرة يُلاحظ أنها مشتركة في الفكر والهدف غير أنها تختلف في اسلوب التطبيق، فساعد ذلك في تعميق ظاهرة التطرف خاصة فى منطقة الشرق الأوسط املاً فى الصعود إلى سُدة الحكم.

وقد روى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: "لا تشددوا على أنفسكم، فيشدّد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشُدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات"(أبي داؤد 1314هـ:حديث رقم:2720)، قال تعالى:{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }(الحديد:27)، ومن أجل ذلك قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه ينزع إلى الغلو في الدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام فوازن بين الحياة الروحية والمادية، ووفق بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان، فشرع من العبادات ما يزكي نفس الفرد، ويرقى به روحياً ومادياً، وما ينهض بالجماعة على أساس من الأخوة والتكافل، دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض. فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات فردية وجماعية لا تعزل المسلم عن الحياة ولا عن المجتمع، بل تزيده ارتباطاً به، ومن هنا لم يشرع الإسلام "الرهبانية " التي تفرض على الإنسان العزلة عن الحياة وطيباتها، والعمل لتنميتها وترقيتها، بل جعل الأرض كلها محراباً للمؤمن، والعمل فيها عبادة وجهاداً، إذا صحت فيه النية والتزمت حدود الله تعالى، وابتعدت عن كلما ما دعت إليه الديانات والفلسفات الأخرى لأجل الحياة المادية دون الروحية، ومن حرمان البدن وتعذيبه حتى لا تصفو الروح وترقى، قال تعالى:{وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }(البقرة:201)، وقال ﷺ:" اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي"(مسلم 1330هـ:حديث رقم:4903). فواجب المسلمين اليوم أن يمتثلوا لأمر الله سبحانه وتعالى، وأن يحبوا من الطيبات ما أحبه المولى عزوجل، وعدم تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده، قال تعالى:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }(الأعراف:32)، وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }(المائدة:87)، فالآيتان الكريمتان تبينان أن الإسلام قد وضع للمؤمنين منهجاً للتمتع بالطيبات ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان السماوية(ابن كثير 1982م:1122). وسنته عليه الصلاة والسلام تعني منهجه في فهم أصول الدين وتطبيقه، في نفسه وأهله والناس أجمعين، ومن سنته أيضاً أنه كان معطياً كل ذي حقٍ حقَّه، فهذا هو التوازن والاعتدال. لذلك فإن مكافحة التطرف والإرهاب لن تتم بالشجب والاستنكار وعقد المؤتمرات، بل بمكافحة الفكر الذي تم زرعه وغرسه في المجتمع، لأن اختراق الأفكار للعقول لا يتم بالتشديد الأمنى والتغطية الإعلامية، بقدرما يتم بالتربية على النزعة الدينية الخالصة. لذلك فإن بيان التطرف وتحديد المراد به بعلم وبصيرة، هو الخطوة الأولى في طريق العلاج

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة، ولا قيمة لأي بيان أو حكم ما لم يكن مستنداً إلى المفاهيم الإسلامية، وإلى النصوص والقواعد الشرعية الثابتة، مصداقاً لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }(النساء:59)، وقد اتفقت الأمة الإسلامية، سلفها وخلفها، على أن الرد إلى الله تعالى يعني الرد إلى كتابه العزيز، والرد إلى رسوله ﷺ يعني الرد إلى سنته عليه الصلاة والسلام، وبدون هذا التوثيق الشرعي الدقيق لن يُعير الشباب المسلم من التطرف. وفيما سبق هنالك ملاحظتان جديرتان بالاهتمام:

أولاً: إن مقدار تدين الإنسان، وتدين المحيط الذي يعيش فيه من حيث القوة والضعف له أثره في الحكم على الآخرين، سواء بالتطرف أو التعصب أو التوسط، فالشخص الذي يحمل في نفسه النزعة الدينية الخالصة، وكان الوسط الذي نشأ فيه شديد الالتزام بالدين، يكون مرهف بالحس الديني لأي مخالفة أو تقصير (المناوي 1972م:11). وفي المقابل الشخص الذي قل زاده من التدين علماً وعملاً، أو عاش في محيط تجرأ على محارم الله وتنكر لشريعته، يعتبر التمسك بالحد الأدنى من الدين ضرباً من التعصب أو التشدد، فكلما زادت مسافة البعد بينه وبين الدين، زاد استغرابه بل إنكاره له، بل اتهامه لكل من يتمسك بعروة الدين بأنه متطرف، وكثير من أولئك يعيشون اليوم في أوطاننا بأسماء إسلامية، وعقول غربية، يعتبرون مجرد الالتزام بأوامر الله ونواهيه تطرفاً دينياً! وكثير ممن غزته الأفكار والتقاليد الغربية يعتبر الذين يتمسكون بآداب الإسلام غاية في التطرف والتعصب. فالدعوة إلى تحكيم شريعة الله، والغيرة على الدين وحرماته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب واجبات المؤمن.

ثانياً: ليس من الإنصاف أن نتهم كل إنسان بالتطرف في دينه لمجرد أنه اختار رأياً من الآراء الفقهية لأن من حقائق الإسلام أن يختلف الناس ويتفاوتوا في تصوراتهم، فمنهم المتساهل الميسر، ومنهم المتشدد المعسر، فواجب المسلم في هذا المقام أن يستند رأيه الذي تبناه إلى مذهب من المذاهب المعتبرة عند المسلمين، أو يعتمد على اجتهاد صحيح قائم على استدلال شرعي سليم؛ فالسؤال هل من حقنا أن نصادر حق امرئ في ترجيح رأيه على رأي الآخرين؟ لأن هنالك ما نسميهم بالمتطرفين يعتبرون أن التشدد والتنطع له أصل شرعي في الفقه.

- **التطرف الديني مظاهره وأسبابه:**

لقد سارعت بعض الأنظمة الحاكمة إلى ممارسة أشد أنواع القهر والتعذيب في حق الآخرين من دون هوادة، عندما رضيت الحكومات العربية المذلة والاستسلام الكامل لرغبات أمريكا واسرائيل، وتجاهلوا غليان الشارع العربي وإحساسه بالتهميش، هذا بالإضافة إلى سياسة الهيمنة الدولية التي تفرضها دُول الغرب اتجاه الإسلام والمسلمين. كل هذه العوامل زاد من خطر التطرف الديني الذي انتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري إلى طور الممارسة العملية، على الرغم من أن النصوص الشرعية تدعو إلى الاعتدال، وتحذر من التطرف، ولكن إذا نظرنا لواقع حال الأمة الإسلامية اليوم نعلم جيّداً أن الأمر في غاية من الصعوبة، فهنالك عدة عوامل تساعد في تنامي ظاهرة التطرف الديني وانتشارها في المجتمعات، ولعلّ أهمّها الأفكار المسبقة التي يتبنّاها الاتجاه المضاد والتي عادة ما تكون وليدة قراءة انتقائية مجتزِأة للنصوص الدينية، لهذا فمِن الأهمية بمكان معرفة الآخر وعقائده وثقافته معرفة صحيحة تنطلق مِن مفهوم سليم للدين. فالأديان السماوية تدعو إلى الرحمة، والتواصي بالأمن والسلام تجاه الجميع، لكن كثيراً ما تتغير الدّوافع المختلف حولها دينيًا أو دنيوياً عندما يكون الهدف البحث عن النقائص والمتناقضات الفكرية والعقائدية، وهنا ينعزل أبناء الدّين الواحد أو الطائفة الواحدة وبموجب تلك النقائص نرى المؤمنون ينكفئون على أنفسهم في دائرة ضيّقة، مع أن قصد الخالق أن يكون المؤمن في هذه الحياة منتميًا إلى فكر

السماء عاملاً بفضائل الإيمان ومكارم الأخلاق. ومن خلال ما ذكر يمكن استنتاج أهم مظاهر التطرف الديني، منها:

* الانغلاق الفكري: يرتبط التطرف بالتعصب والإنغلاق الفكري حين يفقد الفرد أو الجماعة القدرة على تقبل معتقدات أو أفكار لا توافق معتقداتهم أو مجرد تجاهلها، فإن هذا يعد مؤشراً على تعصبهم وانغلاقهم على معتقداتهم. ويتجلى شكل الإنغلاق في ما يعتقده الفرد أو الجماعة في مدى صحة القول أو بطلانه. وبهذا المعنى هو أسلوب مُغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الأشخاص الآخرين. ويتسم هذا الأسلوب بالآتي:

1. الجزم بأن المُعْتقَد صادق صدقاً مطلقاً أو أبدياً.
2. المُعْتقَد يصلح لكل زمان ومكان.
3. لا مجال لمناقشة المعتقد، ولا للبحث عن أدلة تؤكد وجوده أو تنفيه.
4. المعرفة بمختلف قضايا الكون من المُعْتقَد دون غيره.
5. إدانة كل ما يخالف المُعْتقَد.
6. الاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي.
7. فرض المُعْتقَد على الآخرين بالقوة.

* عدم الاعتراف برأي الآخرين: إن تعصب الشخص على فهمه لا يسمح له رؤية مصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار والجدال مع الآخرين، فنراه دائماً ينكر الآراء المخالفة لوجهات نظره، ويزعم بأنه وحده على الحق، ومن عداه على الضلال، ويتهم من خالفه في الرأي بالجهل واتباع الهوى، ومن خالفه في السلوك بالفسوق والعصيان، كأنه جعل من نفسه نبياً معصوماً، ومن قوله وحياً يوحى! مع أن سلف الأمة قد أجمعوا على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك، إلاّ النبي صلى الله عليه وسلم. ومن العجائب أن من هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد في حياة الآخرين، ويفتي فيما يروق له نفسه، فهذا التعصب المقيت الذي يثبت المرء فيه نفسه، هو الذي نراه اليوم يسود في كثير من المجتمعات الإسلامية، فالمتطرف كأنما يقول لك: من حقي أن أتكلم، ومن واجبك أن تسمع، ومن حقي أن أقود، ومن واجبك أن تتبع، رأيي صواب لا يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب... وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبداً، لأن اللقاء يمكن أن يسهل المسير، وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به، ويزداد الأمر خطورة حين يريد فرض رأيه على الآخرين بالعصا الغليظ.

* إلزام أفراد المجتمع، بما لم يلزمهم الله سبحانه وتعالى به: لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد في بعض المسائل، وبالأثقل في بعض الأحوال، تورعاً واحتياطاً، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا ديدنه في كل حال، لقوله تعالى: {... يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(البقرة:185)، قال ﷺ:" إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته"(ابن حنبل،بدون تاريخ:حديث رقم: 5703)، وما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً. فالواجب على المسلم أن يشدد على نفسه، ويعمل بالعزائم، ويدع الرخص والتيسير في الدين، ولكن الذي لا يقبل منه بحال أن يلزم بذلك جمهور الناس حتى لا يجلب عليهم الحرج في دينهم، والعنت في دنياهم، فالرسول ﷺ كان يربي أصحابه على اليسر دون العسر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث خوفاً من الوقوع في المحظورات، لقوله تعالى:{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(الأعراف:157). ولهذا كان ﷺ أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه

حتى إنه كان يتورم قدماه من شدة الإطالة، ولكنه كان أخف الناس صلاة إذا صلى في جماعة، مراعياً ظروف وحال الناس في التفاوت والاحتمال، وكان يقول: "إذا صلى أحدكم بالنّاس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما يشاء" (البخاري1336هـ:حديث رقم: 1545). وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين أطال الصلاة بالقوم:" أفتّان أنت يا معاذ؟! وكررها ثلاثاً"(ابن حجر1407هـ: 546). وعن أنس أن النبي ﷺ قال:" إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه" (ابن حجر1407هـ: حديث رقم:3451)، فالواجب ألاّ نلزم الناس إلاّ بما ألزمهم الله سبحانه وتعالى به، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا تركوا. وحسبنا هنا حديث طلحة بن عبيد الله في الصحيح، في قصة ذلك الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ، عما عليه من فرائض، فأخبره بالصلوات الخمس وبالزكاة، وبصوم رمضان، فقال: هل عليّ غيرها؟ فقال لا، إلاّ أن تطوع، فلما أدبر الرجل قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: "أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق "(النووي 1416هـ:حديث رقم:1397). وحسبنا أيضاً أن ننظر لحال المسلمين اليوم وهم يؤدون الفرائض في عصبية وشدة، إما ولاءً لمذاهبهم أو تطرفاً على حمل الصغائر أكثر من الكبائر دون النظر لقوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً }(النساء:31) فكيف نسقط اعتبار المسلم بمجرد الوقوع فيما اختلف فيه من الأمور على الرغم من أن الحلال والحرام كلاهما بينٌ، ومن هنا أنكر المتديّنون تبني البعض خط التشدد والتزمت بصفة دائمة والتزام أشد الآراء تضييقاً، وأقربها إلى التعسير، وأبعدها عن السعة والتيسير.

* الغلو والتشدد في الدين: من أبرز مظاهر التطرف الغلو، وهو عبارة عن تشدد عام يتعلق بالجوانب الفكرية والنفسية والاجتماعية. ومن المعروف فقهاً أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرد إلا الشارع، ولا أنكار إلا في مسائل الخلاف الذي يجوز فيه الاجتهاد، إمتثالاً لقول النبي ﷺ:" إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد"(مسلم 1405هـ:حديث رقم: 1716). فكثير من المتعصبون لا يتدبرون النصوص الشرعية التي أوصت بمراعاة ضعف الوازع الديني، لقوله تعالى: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}(الشرح:6) ، وقال النبي ﷺ:" يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"(البخاري 1336هـ:حديث رقم: 6124). لذلك تقوم أمر الدعوة إلى الله على الحمكة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن في جميع الأديان السماوية، لقوله تعالى:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }(النحل:125)، وهذا ما جاء على هدي النبي ﷺ حين أخبره المولى عزوجل بالرفق واللين في الدعوة إليه، لقوله تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(آل عمران: 159). فالغلظة والاستعجال في التبليغ، وعدم احتمال الصبر على الناس، وإغفال سنة التدرج في التغيير، واحتقار البعض وإساءة الظن بهم، أحد مداخل التطرف، لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }(الحشر:10)، ويقول النبي ﷺ:" المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره"(النووي 1416هـ:حديث رقم: 2564). ومن لوازم هذا السلوك سوء الظن بالمخالفين في الرأي واتهامهم والتركيز على سيئاتهم دون حسناتهم، والله سبحانه وتعالى يحذر من التطرف في إساءة الظن بالآخرين:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }(الحجرات 12). وفي العدل والحق يقول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة:8). وقد أشار النبي ﷺ إلى أمر العدالة والحقوق عندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له:" إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله

افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم..." (النووي 1416هـ:حديث رقم: 4622). فانظر كيف كان النبي ﷺ يربي أصحابه على أن يتدرجوا في دعوتهم إلى الله تعالى، إبتداءً بالشهادتين فالصلاة، والزكاة... وهكذا. ولم يذكر القرآن الكريم الغلظة والشدة إلاّ في موضعين: أولاً: في قلب المعركة عند مواجهة الأعداء، والصلابة عند اللقاء، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }(التوبة: 123). الثاني: في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقيها، حيث لا مجال لعواطف الرحمة في إقامة حدود الله في أرضه، لقوله تعالى:{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }(النور: 2) وقال تعالى في شأن قوم عيسى عليه السلام:{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }(الحديد:27). أما في مجال الدعوة، فلا مكان للعنف والخشونة، لقول صلى الله عليه وسلم:"ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، ولا نزع العنف في شيءٍ إلاّ شانه "(النووي 1416هـ: 5416). فعلى الداعي أن يبتعد عن العنف والتعصب في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، حتى يستطيع أن يدخل إلى أعماق الناس، لتجعل منهم أشخاصاً ربانيين في مفاهيمهم ومشاعرهم وسلوكهم، ويبدل كيانهم وينشئ منهم خلقاً آخر فكراً وشعوراً وإرادة، فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة تهز كيان المدعو هزاً، وتغير عقائده المتوارثة، وتقاليده الراسخة وأخلاقه المتعارفة، وأنظمتها السائدة، ولا يمكن أن يتم هذا إلاّ بحسن التأتي للأمور والمعرفة بطبيعة وبيئة المدعو. وهذا ما قصه القرآن الكريم في مسالك الأنبياء والدعاة إلى الله كما نرى في قصة سيدنا دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، ودعوة شعيب لقومه، ودعوة موسى لفرعون..الخ، فانظر كيف خاطب مؤمن آل فرعون فرعون ومن معه، ليشعرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، ويهمه أمرهم، ويعنيه أن يبقى لهم ملكهم، ويدوم لهم مجدهم، لقوله تعالى:{يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }(غافر: 29). فالذين أعرضوا عن ذكر الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم أصبحوا من الخائفين، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ}(غافر:30). هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لأصحاب الدعوة إلى الله تعالى أن يتبعوه في دعوتهم للمعاندين والمخالفين، وحسبنا وصية الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}(طه43-44). فما كان من موسى عليه السلام إلا أن عرض على فرعون دعوته بصورة رقيقة عسى ولعل أن يخشى ربه، ولكنه تنكر وتجبر في الأرض، قال تعالى:{فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}(النازعات:18-19).

* ســـــوء الظـن بالآخرين: من مظاهر التطرف ولوازمه سوء الظن بالآخرين، والنظر إليهم من خلال منظار أسود يخفي حسناتهم، ويضخم سيئاتهم. فالأصل في الاتهام الإدانة، خلافاً لما تقرره الشرائع الدينية والقوانين: فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته. فالغلاة دائماً يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى سبب، ودون أن يلتمسوا المعاذير للآخرين، ويجعلون من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفراً!! وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل وجهين: وجه خير وهداية، ووجه شر وغواية. ويرجحون احتمال الشر على احتمال الخير، خلافاً لما آثر عليه العلماء والفقهاء من أن الأصل حمل حال المسلم على الصلاح والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان، ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء على العامة، بل يتعدى إلى الخاصة. فإذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق الله، ورفع الحرج عنهم، فهو في نظرهم متهاون بالدين. وإذا عرض داعية الإسلام عرضاً يلائم ذوق العصر، متكلماً بلسان أهل زمانه ليبين لهم، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارته... وهكذا، حتى عند أئمة المذاهب الأربعة على ما لهم من فضل ومكانة في تسيير حال الأمة الإسلامية لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنهم. فما أصابت الأمة الإسلامية من فتن في الماضي والحاضر أكبر دليل على أن التعصب لازال يمثل ثقافة الكثيرين، ولا ندري من الذي يحق له أن

يزكي نفسه دون الآخر، مع أن الله سبحانه نهى عن تزكية النفس، بقوله تعالى:{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }(النجم:32). لذلك فإن آفة سوء الظن باتت تتغلغل في أعماق النفوس، على الرغم من أن التعاليم الإسلامية تحذر من خصلتين: سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس لقوله ﷺ:" إيّاكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث"(ابن حجر 1314هـ:حديث رقم: 6064). فالأصل في هذا الشأن هو الغرور بالنفس والتحقير للآخرين، كما في معصية إبليس لربه والذي في قوله تعالى:{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}(الأعراف: 12).

* السـقوط في هاويـة التـكفير: لا يقتصر تشدد المتطرف على نفسه, بل إنه يتشدد مع الآخرين, ويبلغ التطرف غايته عندما يُسقط عصمة الآخرين، ويستبيح دماءهم وأموالهم، وذلك حين يخوض المتطرف في لجّة التكفير، واتهام الناس بالخروج من الإسلام، وهذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد، وسائر الأمة في واد آخر، وهذا ما وقع فيه الخوارج والشيعة في فجر الإسلام، وبما أنهم كانوا من أشد الناس تمسكاً بالشعائر الدينية، إلا أنهم فسدوا فساد الفكر والضمير معاً، فضّل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله:" يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقيامه مع قيامهم، وقراءته مع قراءتهم"(ابن كثير 1413هـ: 145). ولهذا أنكر النبي ﷺ غاية الإنكار على أسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد أن نطق بالشهادة، وقال: قتلته بعد أن قال: لا إله إلاّ الله؟ قال: إنما قالها تعوذاً من السيف؟ قال: هلاّ شققت قلبه؟ ما تصنع بـ "لا إله إلاّ الله "؟!! قال أسامة: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ فقط "(ابن كثير، بدون تاريخ: 354). ومن دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلاّ بيقين مثله، والشك والمعاصي لا تخرج المسلم من الإسلام، حتى الكبائر منها ما لم يستخف بحكم الله فيها، أو يرده ويرفضه. ولهذا أثبت القرآن الكريم مكانة الأخوة الدينية بين القاتل المتعمد وولي المقتول المسلم، بقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(البقرة:178).

* فقد ميزان القوى الإيمانية: إن المتعمق والمتشدد يفتقر إلى ميزان العدالة الإلهية الصحيحة فيقيس المواقف حسب هواه، فمن الطبيعي أن يتخبط، فيتخذ الموقف ونقيضه ويقول الكلام وضده، بسبب جهله بالتشريع ومقاصده لعدم إحاطته بالدين من جميع جوانبه.

* الجهل والفقر والبطالة: تعاني الكثير من المجتمعات من هذه المآلات الثلاث والتي خلقت عدم التوازن بين طبقات المجتمع، كذلك تفشي الظلم والعدوان والقسوة والشدة ضد غير الموالين للأنظمة الدكتاتورية كانت سبباً أساسياً في انتهاك ومصادرة حقوق الآخرين، فالكثير من الحكومات لا تعترف بمبدأ حق تقرير المصير، لغياب الوازع الديني، والنظم المؤسسة في استخدام أساليب الحكم الرشيدة. أيضاً تفشي الأخطاء المنهجية في التفكير، فهناك فرق بين الجهل المطلق في الدين الذي يؤدي إلى الانحلال والتسيب، وبين ضعف البصيرة التي تعني نصف العلم، فمن الضرورة التوافق بين العلم والدين في الجزئيات والكليّات.

* تأويل فهم النصوص في غير مواضعه: إذا نظرنا إلى الساحة العلمية اليوم نجد أن البعض يتمسك بحرفية النصوص دون معرفة مقاصدها، فالذين يعترفون بالظاهر لم يتذوقوا اللغة العربية وآدابها، ولم يفرقوا بين الحقيقة والمجاز، وبالتالي لا يفرقون بين الإيمان والكامل وأصل الإيمان، ولا بين الظلم الاعتقادي والظلم العملي، ولا بين نفاق العقيدة ونفاق العمل، فهم يسرقون في التحريم مع أن الله تعالى حرم على المؤمنين ذلك، في قوله تعالى:{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ }(النحل:116). وبجانب تلك الأسباب هنالك من يرى ضرورة تصنيف أسباب التطرف على النحو التالي: الأسباب العلمية، والأسباب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، والأسباب العلمية.

**- الآثار الاجتماعية للتطرف الديني:**

التطرف الديني هو حالة من الجمود الفكري والإنغلاق العقلي، وتعطيل للقدرات الذهنية عن الإبداع والإبتكار، وعن إيجاد الحلول في عالم يتغير على مدار كل دقيقة أو ساعة، لذلك فإن انتشار ظاهرة التطرف الديني في الاوساط الاجتماعية أكثر فظاظة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، بل يكون مهدداً لمسيرة الأمة، فالتطرف يمكن أن يكون سبب أو نتيجة للتخلف والركود. ومن هنا يمكن أن نلخص آثار التطرف الاجتماعي في السياق التالي:

1. التدهور في الإنتاج الفكري والإبداعي: يعتبر الإنسان أهم عنصر في قوى الإنتاج، والذي بموجبه يستطيع أن يطور ويبدع في إنتاجه الفكري والثقافي، فإذا ما كان أسيراً لأفكاره وعاجزاً عن التفكير وإعمال العقل، فإن ذلك يجعله متمسكاً بالأساليب التي تعيق الإنتاج بأنواعه المختلفة.

2. الانحلال القيمي والاخلاقي والسلوكي: يعمل التطرف الديني على قطع العلاقات الاجتماعية بين الناس، الأمر الذي يؤدي إلى غياب التسامح والتعايش بين الآخرين. لذلك فإن ارتباط التطرف بالتعصب والعنف، يؤدي في النهاية إلى صراعات وحروب حامية الوطيس تدمر كل البنيّات الاجتماعية والاقتصادية للدول.

3. يحول المجتمع إلى ساحة للكبت والانحراف: إن العنف الذي نشاهده اليوم ليس وليد لحظة أو نزوة عابرة بل هو مبرر إيديولوجياً وجد لنفسه غطاءً فقهياً فأصبح ظاهرة سلوكية متأصلة عند الجماعات الراديكالية، بل هي امتداد طبيعي لتاريخهم الطويل كما يراه القسيس الأمريكي جورج بوش (الجد الأكبر) في كتابه المثير للجدل:(محمد صلى الله عيه وسلم ،مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين) (بوش 2000م: 357)، ويرى بعض المفكرين المعاصرين أن الغرب قد زرع هذه الشبهة من أجل الانتقاص من العرب والمسلمين ونبيهم عله والصلاة والسلام (السيابي 2005م: 20). فرغم عدم قدرتنا على إنكار العنف المستخدم اليوم بشراسة من قبل بعض الجماعات الإسلامية، إلَّا أنه يتوجب علينا إنكار مسألة ربط العنف بالإسلام؛ وذلك أن الفعل حينما يتأصل في المعتقد يصبح صفة ملازمة لها، وقولنا بربط العنف بالإسلام يعني بأن صفة العنف هي من شعائر الإسلام والمسلمين، وهي صفة تتنافى مع مقاصد التشريع الإسلامي، والغاية التي من أجلها خُلق الإنسان.

5. تفشي الأزمة الفكرية: تعتبر الأزمة الفكرية اليوم من أبرز الأسباب التي أدت تفشي هذه الظاهرة الخطيرة، ويعود ذلك إلى هشاشة الجانب الفكري الذي يعانيه شبابنا اليوم وهو ما حذر منه الكثير من علماء المسلمين فقالوا إن مغبة الإهمال الفكري لدى شباب المسلم، والاكتفاء بتقدمهم العلمي فقط مقابل الانعدام الفكري سوف تُوقع الجميع في المحظور(شريعتي 1984م: 12). فالبنية الفكرية لبعض الجماعات المتطرفة أصبحت تشكل ضغطاً فكرياً على هؤلاء الشباب الذين انصهروا في بوتقة فكرهم المتطرف بكل سهولة إما بسبب ما يعانونه من فراغ ثقافي وفكري، أو بسبب تخلفهم الاقتصادي. فنحن اليوم في أمس الحاجة إلى مشروع إصلاحي فكري وثقافي يساهم في خلق بنية فكرية متينة لتبصير شباب الأمة الإسلامية ما يحاك ضد عقيدتهم؛ والعمل على مواجهة المذاهب الفكرية والدينية المعاصرة بنوع من الأمانة العلمية المطلقة، وهو مشروع لا يمكن تحقيقه إلّا من خلال تغيير سياسة التعليم ووضع المناهج الدراسية التي تهتم بالوحدة الوطنية الخالصة، وإقامة الفعاليات الفكرية في المدارس والمؤسسات الجامعية من خلال المحاضرات والأنشطة اللاصفية التي تساهم في تحريك المشارع والأحاسيس الفكرية، التي تسعى إلى إضفاء القداسة الدينية على مشروع الإسلام السياسي والآيديولوجي. حتى لا تتحول الأزمة من أزمة سوء فهمهم للنصوص الفقهية، فيصدر كل منا الفتوى التي تحقق مصالحه، فالناظر للمنهج القرآني في التعامل مع غير المسلم، يرى أن القرآن الكريم ينبذ فكرة الإكراه في الدين، لقوله تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }(البقرة: 256).

## - الحـــلول:

بتعدّد الأسباب تتنوّع وجهات النظر في مقاربة الحلول الناجعة التي تخفّف مِن الآثار السلبية للتطرّف الديني مِن جهة، وتعزيّز ثقافة الحوار وسبل الرّقيّ به، وإنجاح دوره مِن جهة أخرى. فلابدّ مِن فتح قنوات مباشرة للحوار الديني والثقافي مع المختلف عنّا بوصف أن هذا الحوار ضرورة ملحّة لا رفاهية فكرية كما يظنه البعض. كقرية كونية صغيرة أصبح العلم والمعرفة بالقضايا المختلف حولها أمر مألوف، فالآخر المختلف ثقافيّاً أو دينيّاً أصبح يؤثّر في حياتنا جميعاً إيجاباً أو سلباً شئنا أم أبَيْنا. ولذلك ينبغي أن يكون الحوار مستمراً فعّالاً يقوم على أساس تعزيز الوسطيّة في الدّين، وتوظيف المفاهيم المشتركة التي تجمع بين الأديان السماوية في الإطار الإنساني والتعاون على البرّ والتقوى. وأن يكون الحوار صريحًا مفتوحًا يتجاوز الحواجز والغموض والرّيبة أملاً في الخروج النظرة المسبقة للأحكام المغلوطة. ولهذا يبقى القلب هو نقطة البداية لمقاربة الحل الحقيقي لمشكلة التطرف الديني، فالإنسان ما لم يمتلئ قلبه بالمحبة الخالصة لخالقه ولأخيه الإنسان، لن تتنقّى روحه مِن رواسب الفتنة والتعصّب الديني والحقد الطائفي.

أما على الصعيد العملي، يجب تفعيل الآليات التي تنقل الحوار الديني مِن الشعارات النظرية إلى حيّز الممارسة والتطبيق العملي، حتى يصبح هذا الحوار واقعًا معيشًا يشعر بها رجل الشارع ويلمسه كلّ مواطن في المجتمع في حله وترحاله. ولا يتأتى ذلك إلا بإقامة مؤتمرات ودورات تدريبية وورش عمل على أساس الاعتراف بعقائد الآخرين، واحترام الكرامة الإنسانية. علاوة على ذلك، تحتاج مجتمعاتنا إلى دعم وترسيخ قيم التسامح الديني والمواطنة، ومناهضة التعصّب والعنف. وهذا لا يتمّ إلا بتعليم ثقافة الحوار، وغرسها في نفوس الأجيال الناشئة منذ نعومة أظفارهم، وهذا يستلزم إعادة تشكيل المناهج التعليمية وتنقيتها مِن بعض الظواهر السالبة، بحيث تعكس ثقافة التفاهم والتسامح بعيداً عن ثقافة التهميش والتمييز. هذا بالإضافة إلى العمل على استشراف آفاق المستقبل لمواكبة التطوّر التكنولوجي المتسارع، وذلك بالدّعوة إلى الاستفادة مِن مواقع التواصل الاجتماعي مِن" فيس بوك ويوتيوب وتويتر" وضرورة أن يضطلع العاملون في مجال حوار الأديان بدورهم في السعي للاستفادة مِن الوسائط الإعلامية المختلفة كإحدى الطرق الرئيسية والمهمّة في نشر ثقافة الحوار والتواصل بين أبناء الطوائف المختلفة أو الوطن الواحد.

ثم علينا مراعاة عملية التنشئة الاجتماعية السليمة كمنظومة متكاملة تؤدّي فيها الأسرة دورها المنوط بها، كذلك ينبغي التأكيد على تكامل أدوار المرجعيات الدينية، والمؤسسات الاجتماعية ذات الصلة في توحيد خطابها الديني في نبذ العنف بكلّ أشكاله، ونشر الوسطية والاعتدال وكل ما يصبّ في خدمة التواصل والتفاهم لتحقيق الأهداف التي ترفع مِن قدر الإنسان، وتصون كرامته. فمِن أجل نشر هذه المعاني الإنسانية السامية التي يريدها الخالق عزوجل دعونا نعمل على حب الآخر كما نحبّ لأنفسنا وأن نخلص في عطائنا للآخرين دون النظر إلى دينهم. أيضاً بالإضافة إلى الحلول السابقة يرى الباحث أن أفضل الخيارت لمواجهة هذه الظاهرة التي أرقت العالم ولازالت هي:

* نشر ثقافة الاعتدال والتوسط في الدين، ورصد وتجميع التعاليم التي ترفض التطرف الديني والعنف وتعزيز ثقافة الخيرية، وصوغ المناهج التربوية والتعليمية والتدريبية على أساس مقاصد الشريعة.

* إعطاء الاستقلالية الكاملة للمرجعيات الدينية، والتوقف عن توظيفها كأداة لحشد التأييد والولاء، حتى تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية والتثقيف الديني والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطئ للدين. والتوقف عن وضع جميع الحركات الإسلامية في كفة واحدة ومناصبتها العداء بشكل

أعمى، ودون وعي أو تمييز، والحذر من دعم مظاهر التطرف العلماني ووقف التصريحات المعادية للاسلام والمسلمين في الغرب سواء من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بعض النخب السياسية الفكرية والدينية، لأن من شأن هذه التصريحات العدائية أن تستفز غضب العرب والمسلمين، والعمل على تطوير مؤسسات مستقرة قادرةعلى تقديم خدمات أساسية بغية إضعاف الحوافز الاجتماعية والاقتصادية للتطرف العنيف. وتعزيز سياسات تطوير المجتمعات المدنية وتقويتها لإضعاف سطوة الحوافز النفسية التي تدفع الناس إلى العمل مع المجموعات المتطرفة. وإلزام جميع الدول الأعضاء بجميع قرارات مجلس الأمن فيما يتصل بمحاربة التطرف والعُنف الديني.

* إنهاء حالة الكبت والقمع السياسي اتي تمارسه بعض الحكومات والأنظمة الدكتاتورية.

* معالجة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية، وتقليص الفجوة الآخذة بالاتساع بين غالبيةٍ مقهورة ومسحوقة في المجتمعات العربية، وبين أقلية متنفذة تسيطر على ثروات الشعوب.

**- الخاتمة:**

أكدت الدراسة أن التطرف الديني بكل أشكاله وأنواعه هو عبارة رد فعل لتطرف آخر. فالعنف لا يولد إلا عنفاً مضاداً، وسرعان ما يتحول الأمر إلى حلقة مفرغة لا نهاية لها. وما لم تتم معالجة الأسباب الموضوعية والمنطقية التي تشكل أرضاً خصبة لانتشار الأفكار المتشددة في العالم العربي والغربي لذكل فإن أي معالجات أمنية ستكون قاصرة على المواجهة الظاهرة، بالأسلوب السياسي الفكري، حيث تشكل الأفكار سبباً إضافياً لتناميها بصورة مطلقة. ومن هنا يجب على الحكومات أن تدرك أهمية إعطاء الفرصة لحركات المجتمع المدني لمحاصرة الفكر المتطرف الذي يضرب المجتمع، ويهدد استقرار الناس وأمنهم، كذلك لا بد أن تستفيد الحكومات من هذا القانون الإلهي الذي كرم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات، لإنجاح هذا التحرك يجب فتح المزيد من القنوات التي تتيح للمجتمع التعبير عن رؤاه، وعن رفضه لمشروع الفوضى وتدمير الذات، والتفافه حول ثوابته التي تضمن له الاستقرار والأمان، وبإعطاء هامش الثقة للمرجعيات الدينية يمكن تطويق دوائر التشدد، والقضاء على الفكر المتطرف وعلى تجار الموت. ومن الضروري بمكان أن يتزامن هذا الحراك الواسع مع الحملات الإعلامية الشاملة التي ترتبط بالبرامج والأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتفاعل مع المجتمع، وتحول أفراد المجتمع من متفرجين إلى شركاء يحملون المجتمع شطراً من المسؤولية في الدفاع، أيضاً ضرورة إشراك الأسرة باعتبارها أداة التأثير الكُبرى في تشكيل وصياغة العقول الشابة، وتطوير البنية الاقتصادية والسياسية، وإعادة صياغة الخطاب الدعوي والإعلامي.

- **المراجع:**

**ابن الأثير** (1986م). الكامل في التاريخ. دار الكتب العلمية، بيروت، ط2ج2.

**ابن تيمية** (1414هـ). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.تحقيق علي حسن وآخرون.دار العاصمة، الرياض،ط2.

**ابن تيمية**، أحمد بن عبدالحليم (1391هـ). درء تعارض العقل والنقل.تحقيق محمد رشاد سالم.دار الكنوز الأدبية،الرياض،ط2ج2.

**ابن حجر**، الحافظ أحمد بن علي (1314هـ).تهذيب التهذيب. دار العلم،القاهرة،ط2.

**ابن حجر**، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (1407هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري.دار البيان للتراث،القاهرة،ط1.

**ابن حزم**، محمد علي (1985م). الفصل بين الملل والأهواء والنحل.دار الجيل،بيروت،ط1.

**ابن كثير**، عمادالدين إسماعيل بن عمر (1982م). تفسير القرآن العظيم.دار المعرفة،بيروت،ط2.

**ابن كثير**، عمادالدين إسماعيل بن عمر (1314هـ). البداية والنهاية.دار الكتاب العربي، بيروت،ج5ط2.

**ابن منظور** (1994م). لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،ط2.

**أبو زهرة**، محمد (1989م). محاضرات في النصرانية.دار الأمل، القاهرة،ط1.

**أبي داؤد**، سليمان بن الأشعث (1314هـ). سنن أبي داؤد.كتاب الذكر والدعاء والتوبة.المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج4، ط2.

**الأصفهاني**، راغب(1961م). المفردات في غريب القرآن.مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط2.

**البخاري**، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل (1336هـ). صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، دار القلم، بيروت، ط2.

**بوش**، جورج (بون تاريخ). محمد صلى الله عيه وسلم، مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين. دار المريخ، ط1.

**الجرجاني**، علي بن محمد (1998م). التعريفات.تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي،بيروت،ط2.

**الحاج**، أحمد محمد (1992م). النصرانية بين التوحيد والتثليث. دار دمشق للنشر، دمشق،ط1.

**الخشن**، حسين (بدون تاريخ). الاسلام والعنف قراءة في ظاهرة التكفير. دار وهبة، دمشق، ط1.
**الجابري**، محمد عابد (بون تاريخ). التطرف يميناً والتطرف يساراً.دار الأمل، دمشق، ط1.

http://www.aljabriabed.net/gauche3.htm

**ياسين**، السيد (بدون تاريخ). تشريح لظاهرة الفكر المتطرف. موقع العربية الالكتروني

alarabiya.net

**دراز**،عبدالله (1993م). الموافقات. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

**الرازي**، أبوبكر محمد (1950م). المصباح المنير. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط3.

**الزيات**، منتصر(2011م). ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج. من موقع الكاتب نفسه

http://www.alzayat.com

**السقّاف،** علي بن عبدالقادر (2010م). الموسوعة العقدية.مكتبة الدرر السنية.باب حماية النبي،ط2.

**السيابي،** أحمد بن سعود (2005مم). المولد النبوي، نظرة تصحيحية في الأحداث والوقائع. مكتبة الغبيراء، ط1.

**شريعتي،** علي (1984م). النباهة والاستحمار. الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

**الطويل،** توفيق (1945م). تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى.دار العلم، بيروت، ط2.

**عبداللطيف،** خالد (2002). الارهاب الدولي – الكاتب خالد عبداللطيف

http://. alerhab com/page1.html

**التل،** أحمد يوسف (بدون تاريخ). الإرهاب في العالمين العربي والغربي.دار العلم، بغداد، ط1.

**علال،** خالد كبير (بدون تاريخ). التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي. دار الأمل، دمشق، ط1.

**الإدريسي،** أبو زيد المقرئ (بدون تاريخ). الغلو في الدين. الدار العالمية للطباعة والكتب دمشق، ط1.

**فهمي،** سمبة أحمد (1975م). الأسس النفسية للأتجاه الديني.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1.

**القرضاوي،** يوسف (2001م). التطرف العلماني في مواجهة الإسلام. دار نشر المركز المغاربي للبحوث والترجمة، ط1، دار البدائل، بيروت، ط1.

**المناوي،** محمد عبدالرؤوف (1972م). فيض القدير.دار الفكر العربي، بيروت، ط1.

**مسلم،**بن الحجاج (1330هـ). صحيح مسلم.دار الخلافة العلمية، دار السلام، القاهرة، ج2 ، ط2.

**النسائي،** أحمد بن شعيب (1313هـ). سنن النسائي. موسوعة الدرر السنية، القاهرة، ج1، ط3.

**النووي،** محي الدين أبي زكريا (1996م). صحيح مسلم. دار السلام، القاهرة، ج5، ط2.

*Jonathan Riley-smith,(2005). The Crusades, A History, Yale University Press, New Haven and London.

*Karen Armstrong,(2001). Holy War, Anchor Books, New York.

*Tyerman, Christopher,(2006). God´s War, A new history of the crusades Penguin Books.